

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة بتاريخ ٤/١١/٢٠٢٢ الموافق ٩ ربيع الآخر ١٤٤٤ هـ

الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْعُقُولَ فَتَوَرَّ بِصَائِرِ قَوْمٍ وَهَدَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ بِفَضْلِهِ وَأَعْمَى قُلُوبَ آخَرِينَ فَأَصْلَحَهُمْ بَعْدَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ وَلَا مِثْلَ وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا حَدَّ وَلَا جُنَّةَ وَلَا أَعْضَاءَ لَهُ، أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَحَبِيبَنَا وَعَظِيمَنَا وَقَائِدَنَا وَقُرَّةَ أَعْيُنِنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَصَفِيَّهُ وَحَبِيبَهُ، مَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ عَالِيهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْقَائِلِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِيلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ إِخْوَةَ الْإِيمَانِ إِنَّ مَنْ نَظَرَ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ نَظَرَ تَدَبُّرٍ وَتَفَكَّرٍ أَدْرَكَ بِعَقْلِهِ وُجُودَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتَهُ وَثُبُوتَ قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ. وَنَحْنُ إِخْوَةُ الْإِيمَانِ مَأْمُورُونَ بِهَذَا التَّفَكُّرِ. فَقَدْ وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَيُلِّ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ه؟ فَإِنَّ النَّظَرَ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ. وَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ الدَّلِيلُ الْإِجْمَاعِيُّ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ. فَالوَاحِدُ مِنَّا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ يَعْرِفُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ثُمَّ وُجِدَ وَخُلِقَ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا بُدَّ مُحْتَاجٍ إِلَى مَنْ أَوْجَدَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ لِأَنَّ الْعَقْلَ السَّلِيمَ يَحْكُمُ بِأَنَّ وُجُودَ الشَّيْءِ بَعْدَ عَدَمِهِ مُحْتَاجٌ إِلَى مُوجِدٍ لَهُ وَهَذَا الْمُوجِدُ هُوَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

^١ سورة آل عمران / ١٩٠-١٩١.

^٢ رواه ابن حبان في صحيحه

هَذَا الْعَالَمُ مُتَغَيِّرٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ فَالْهَوَاءُ يَهْبُ تَارَةً وَيَسْكُنُ تَارَةً .. وَيَسْخُنُ وَقْتًا وَيَبْرُدُ فِي وَقْتٍ آخَرَ .. وَتَنْبُتُ نَبْتَةٌ وَتَذْبُلُ أُخْرَى .. وَتَشْرِقُ الشَّمْسُ مِنَ الْمَشْرِقِ وَتَغْرُبُ فِي الْمَغْرِبِ .. وَتَكُونُ الشَّمْسُ فِي وَسْطِ النَّهَارِ بَيَضَاءً وَفِي آخِرِهِ صَفْرَاءً فَكُلُّ هَذِهِ التَّغْيِيرَاتِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ حَادِثَةٌ مَخْلُوقَةٌ لَهَا مُغَيِّرٌ غَيْرُهَا وَمُطَوِّرٌ طَوَّرَهَا، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ أَجْزَاءٌ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ فَهَذَا الْعَالَمُ مَخْلُوقٌ حَادِثٌ مُحْتَاجٌ إِلَى مَنْ خَلَقَهُ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

يُرَوَى أَنَّ بَعْضَ الدَّهْرِيَّةِ الْمَلَا حِدَةَ دَخَلُوا عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرَادُوا الْفَتْكَ بِهِ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَفْتَأُ يَرُدُّ صَلَاتِيهِمْ وَيَفْضَحُ زَيْعَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ أَحِبُّونِي عَلَى مَسْأَلَةٍ ثُمَّ أَفْعَلُوا مَا سَأَلْتُمْ فَقَالُوا لَهُ هَاتِ فَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ يَقُولُ لَكُمْ إِنِّي رَأَيْتُ سَفِينَةً مَشْحُونَةً بِالْأَحْمَالِ مَمْلُوءَةً بِالْأَنْفَالِ قَدِ احْتَوَسَتْهَا فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ أَمْوَاجٌ مُتَلَطِّمَةٌ وَرِيَّاحٌ مُخْتَلِفَةٌ وَهِيَ مِنْ بَيْنِهَا تَجْرِي مُسْتَوِيَةً لَيْسَ لَهَا مَلَّاحٌ يُجْرِيهَا وَلَا مَدَبِّرٌ يُدَبِّرُ أَمْرَهَا هَلْ يَجُوزُ ذَلِكَ فِي الْعَقْلِ قَالُوا لَا هَذَا شَيْءٌ لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ إِذَا لَمْ يَجُوزِ الْعَقْلُ سَفِينَةً تَجْرِي مِنْ غَيْرِ مَلَّاحٍ يُدِيرُهَا فِي جَرِيَانِهَا فَكَيْفَ يُجُوزُ قِيَامَ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى اخْتِلَافِ أَحْوَالِهَا وَتَغْيِيرِ أَعْمَالِهَا وَسَعَةِ أَطْرَافِهَا مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ وَحَافِظٍ فَبَكَوْا جَمِيعًا وَقَالُوا صَدَقْتَ وَأَعْمَدُوا سُيُوفَهُمْ وَتَابُوا بِالْإِسْلَامِ.

ثُمَّ إِنَّ الْعَقْلَ إِخْوَةَ الْإِيمَانِ يُدْرِكُ بِالنَّظَرِ السَّلِيمِ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ خَالِقَهَا لَا يُشَبِّهُهَا بِوَجْهِه لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَالِقُ الْعَالَمِ يُشَبِّهُ بِأَيِّ وَجْهِه مِنَ الْوُجُوهِ لَجَارَ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ مِنَ الْحُدُوثِ وَالْحَاجَةِ وَالْإِفْتِقَارِ وَالتَّغْيِيرِ لِأَنَّ الْمُتَشَابِهَاتِ يَجُوزُ عَلَيْهَا مَا يَجُوزُ عَلَى بَعْضِهَا وَلَا حَتَّاجَ إِلَى مُوجِدٍ أَوْجَدَهُ وَمُحَدِّثٍ أَحَدْتَهُ فَإِنَّ الْحَادِثَ مُحْتَاجٌ إِلَى مَنْ أَوْجَدَهُ وَخَصَّصَهُ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَيْئَةِ وَالصُّورَةِ وَالصِّفَاتِ، وَالتَّغْيِيرِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ إِلَى حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَالتَّحْيِيزِ فِي الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا وَافْتِقَارُ الْجِسْمِ إِلَى مَنْ حَدَّهُ بِهَذَا الْمِقْدَارِ مِنْ طُولٍ وَعَرْضٍ وَسَمَكٍ وَاضِحٌ لَا لَبْسَ فِيهِ لِصَاحِبِ عَقْلٍ سَلِيمٍ وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ ذَلِكَ كُلِّهِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُحْتَاجًا لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَكَانَ مَخْلُوقًا حَادِثًا وَلَمْ يَكُنْ إِلَهًا أَرْلِيًّا. وَفَقَّنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ، هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ لَهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

الصَادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي
بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَاتَّقَوْهُ.

Esclaves de Dieu, je vous recommande ainsi qu'à moi-même, de faire preuve de piété à l'égard de Dieu العَلِيِّ الْعَظِيمِ *Al-^Aliyy Al-^Adhim*, Celui Qui dit dans Son Livre honoré, dans sourate آلِ عِمْرَانَ *'Ali-^Imran* ce qui signifie : « **Il y a bien dans la création des cieux et de la terre, dans l'alternance de la nuit et du jour, des signes pour ceux qui sont dotés de raison. Ceux-là évoquent Dieu lorsqu'ils sont debout, assis ou couchés sur leurs flancs, ils méditent au sujet de la création des cieux et de la terre en disant : "Seigneur, Tu n'as pas créé tout cela absurdement, Tu es exempt d'imperfection, alors préserve-nous du châtement de l'enfer."** »

Mes frères de foi, celui qui observe bien les créatures de Dieu, en méditant et en réfléchissant, déduira grâce à sa raison l'existence de Dieu تبارك وتعالى ainsi que Son unicité et la confirmation de Sa toute-puissance et de Sa volonté. Et nous avons, mes frères de foi, l'obligation de pratiquer cette méditation. En effet, il a été rapporté du Messager de Dieu صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ qu'il a dit au sujet du verset mentionné ci-dessus et qui signifie : « **Malheur à celui qui récite ce verset et ne médite pas dessus.** »

Certes, la méditation au sujet des créatures de Dieu mène à la connaissance de l'existence du Créateur et de Son unicité. Les savants de *Ahlou s-Sounnah* ont dit qu'il est un devoir, pour toute personne responsable, d'avoir dans le cœur une preuve globale de l'existence de Dieu.

Mes frères de foi, chacun de nous sait au fond de lui-même qu'à un moment donné dans le passé, il n'existait pas, puis qu'il a existé, qu'il a donc été créé. Et tout ce qui est ainsi, a nécessairement besoin de qui l'a fait exister après que cela n'existait pas. En effet, la raison saine juge que l'existence d'une chose après son inexistence, nécessite un Être Qui l'a fait exister. Et l'Être Qui donne l'existence, c'est Dieu تبارك وتعالى.

Ce monde change d'un état à un autre. Tantôt le vent souffle, tantôt il ne souffle pas. Tantôt il est chaud, tantôt il est froid. Une plante pousse, une autre se fane. Le soleil se lève à l'est et se couche à l'ouest. À la mi-journée, le soleil est blanc et à la fin de la journée, il est jaune. Ainsi tous ces changements indiquent que ces choses sont entrées en existence et qu'elles sont créées, qu'il y a un Être Qui les change, un Être Qui les fait évoluer. Or ces choses sont des parties de ce monde, ce monde est donc lui-même créé, entré en existence, il a besoin de Qui l'a créé et il s'agit de Dieu تعالى.

Il a été rapporté que certains *dahriyyah* qui sont athées sont partis voir l'Imam *Abou Hanifah*, que Dieu l'agrée, dans le but de le tuer, et ce pour la simple raison qu'il dévoilait leurs hérésies et ne cessait de répliquer à leurs égarements. Il leur a dit :

— « Répondez à cette question, puis faites ce que vous voudrez ! ». Ils lui répondirent :

— « D'accord ! » Il leur demanda :

— « Que diriez-vous si un homme vous disait : "J'ai vu un bateau tout chargé de marchandises, pris dans une tempête qui l'entourait de vagues et de vents de toutes parts, mais ce bateau continuait son chemin tout droit, sans qu'aucun capitaine ni aucun équipage ne le dirige." Est-ce que la raison accepte cela ? ». Ils lui répondirent :

— « Non, c'est quelque chose que la raison n'accepte pas ! » Alors Abou Hanifah leur a dit :
 — « Dieu est exempt de toute imperfection ! Si la raison n'accepte pas qu'un bateau navigue sans équipage ni capitaine pour le diriger, alors comment la raison accepterait que ce monde existe, compte tenu de ses états changeants, de ses bouleversements de situations et de la multitude de ses composants, sans créateur, sans un Être Qui le préserve ? » Ils se retrouvèrent tous à pleurer et à lui dire :

— « Tu as dit vrai ! » Ils rengainèrent leurs épées et se repentirent en entrant en l'Islam.

Par ailleurs, chers frères de foi, la raison permet de comprendre, grâce à une saine réflexion sur les créatures de Dieu تعالى, que leur Créateur n'a aucune ressemblance, de quelque ordre que ce soit, avec elles. Du simple fait que si le Créateur du monde avait une quelconque ressemblance avec ce monde, il Lui serait possible tout ce qui est possible pour ce monde, comme d'avoir un début et d'avoir besoin d'autrui, comme d'avoir une existence qui dépendrait d'autre chose ou comme le fait de changer, car ce qui est possible pour une chose est possible pour ses semblables. Par conséquent, si Dieu était semblable au monde, Il aurait besoin de qui L'a fait exister et de qui Lui a donné l'existence. En effet, ce qui entre en existence a besoin de Qui le fait entrer en existence, de Qui le spécifie par des caractéristiques telles que son aspect et son image. Ce qui change d'un état à un autre, a besoin de Qui le fait changer d'un état à un autre. Et ce qui est localisé dans un endroit et dans une direction, est nécessairement un corps. Or le corps a besoin de Qui lui donne cette limite-là, cette quantité-là, cette longueur-là, cette largeur-là, cette épaisseur-là, cela ne fait aucun doute pour celui qui utilise sa raison sagement. Et Dieu تعالى est exempt de tout cela, car s'Il avait besoin de quoi que ce soit, Il serait une créature et Son existence aurait donc un début, Il ne serait pas dieu, exempt de début.

واعلموا أن الله أمركم بأمرٍ عظيمٍ، أمركم بالصلاة والسلام على نبيِّه الكريم فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^{٥٦}. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^{٥٧} يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^{٥٨}، اللَّهُمَّ إِنَّا دَعَوْنَاكَ فَاسْتَجِبْ لَنَا دُعَاءَنَا فَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَعَامِن رَوْعَاتِنَا وَاكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَقِنَا شَرَّ مَا نَتَخَوَّفُ اللَّهُمَّ اجْزِ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ الْهَرَرِيَّ رَحْمَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنَّا خَيْرًا. عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي

^{٥٦} سورة الاحزاب / ٥٦.

^{٥٧} سورة الحجج / ١-٢.

الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ
يُنَبِّئُكُمْ وَأَشْكُرُوهُ يَزِدْكُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُ يُغْفِرْ لَكُمْ وَاتَّقُوهُ يُجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا، وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ.